لغة العلم المعاصر

للأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه. ويوم أن ينهض العلم ويخطو إلى الأمام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها، وتتحدد معانيها. وإذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة، فإن مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية تسايرها جنبا إلى جنب.

وقد كان للعرب علوم يتعهدونها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب، وانتهوا إلى كشوف لم يسبقوا إليها. وكانت لهم لغة علمية متنوعة متجددة، فلكل علم مصطلحاته، وإذا ما رأوا أن مصطلحا لا يؤدي معناه أداء كاملا عدلوا عنه إلى ما هو أدق وأضبط. ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أصيلا أو مستعربا دخيلا، وربما فضلوا اللفظ الأجنبي إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء. ولم يَفتْهم أن يسجلوا مصطلحاتهم في معاجم خاصة وتوفر بذلك للعربية مجموعة قيمة من «المفردات» و«التعريفات» ويكفي أن نشير من بينها إلى «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (997 م)، و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوى (1745 م).

ويوم أن ركد البحث العلمي في الاسلام، ركدت لغته معه، فأهملت المعامل ونسيت المصطلحات. ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة على فترة، وكأن رجالها الأول — في القرن التاسع عشر — لم يكونوا على علم بماضيهم، ولا صلة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة. فلم يستفيدوا كثيرا من هذا التراث، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء فيه كثير من التعجل والخطأ. وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ. وأريد بالمجمع في القاهرة أن يساهم في ذلك بنصيب، ومن أهم أغراضه أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم، أو مطبوعات خاصة، ما ينبغي

استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

وَوَضْع المصطلح العلمي أمر غير يسير، فهو يتطلب تمكنا من المادة، وفقها في اللغة، واحاطة بالتاريخ، ووقوفا على النشاط العلمي المعاصر. وللزمن والاستعمال شأنهما في وضوح أي مصطلح واستقراره. ومنذ أن قام «مجمع القاهرة» وهو يولي المصطلحات العلمية كبير عنايته، فقعد القواعد لوضعها، ووجه النظر إلى تاريخها، ويسر السبل للحصول عليها. ودعا الخبراء والمختصين لتسجيل ما استقر رأيهم عليه منها، وناقشه طويلا في مجلسه ومؤتمره. وما أخذ به قيّده في محاضره، ونشره في مجلته ليفيد منه القراء في العالم العربي بأسره.

* * *

أصبحنا وفي العلم جديد دون انقطاع، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم. فالمراكز القومية للبحوث العلمية ينافس بعضها بعضا. والمعامل والمختبرات تملأ الدنيا وهذه كلها تبحث وتنقّب في الأرض والسماء، في البحار وعالم الفضاء ولا يقنع العلماء بالكشف عن حقائق جديدة، بل يحرصون على أن يعبروا عنها، وإلا كتموا علمهم ولم يفد الناس منه. فلغة العلم في سير مطرد وثروة متزايدة، والمعاجم العلمية يلاحق بعضها بعضا تتدارك ما فات واستكمال ما جدّ.

ولم يكن بد لمجمع اللغة العربية في القاهرة أن يتابع هذا السير، فقد أدت الفصحى قديما العلم خير أداء، وهي كفيلة بأن تؤديه اليوم في ضبط ودقة. وتكاد المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية تكون الشغل الشاغل للمجمعيين، يتدارسونها في لجانهم، ويقفون عليها كثيرا في جلساتهم، وكل همهم أن يلائموا بين مقترحات المختصين وأصول اللغة وروحها. وقد سبق للعرب أن اشتقوا ونحتوا، واستعانوا بالمجاز اللفظي لأداء شتى المعاني، ولم يترددوا في أن يعربوا ويخضعوا المعربات لصيغهم وأوزانهم. ولا تضيق لغتنا ذرعا بلفظ مهما كان مصدره، ولا بتركيب مهما كانت غرابته.

وقيمة المصطلح في أن يؤخذ به ويشيع بين الناس. وقد درج المجمع على أن يعرض مصطلحاته على مؤتمره، وفيه ممثلون للبلاد العربية، لكي يدلوا برأيهم ويلائموا بين الاستعمالات المختلفة. ويوم أن يستقر رأيهم على مصطلح ينشر ويذاع، ولا ضير في أن يعاد النظر فيه ويعدّل ان دعا الأمر. ويلتزم المجمع عادة أن ينشر مع كل مصطلح تعريفه، كي يكون أدنى للفهم وأبين لحكم المختصين، وكم يسعده أن يقف على ملاحظاتهم ويذلل معهم بعض صعابهم.

* * *

إننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، وهما معا يمداننا بجديد لا ينقطع، جديد في الآراء والنظريات، وجديد في الأجهزة والمخترعات. وكل تلك في حاجة إلى دوال تؤديها، وألفاظ تعبر عنها. وتسير لغة العلم حثيثة متنوعة، تتنوع بتنوع العلوم والفنون، وتنمو بنمو الموضوعات والبحوث. وليست لغة التكنولوجيا بأقل تجديدا وابتكاراً، فهي تغمرنا بسيل من الألفاظ والأسماء لمستحدثات الحضارة وثمار العلم في الحياة العملية.

وهذان موردان كبيران لنمو اللغات وتطورها، وربما كانا من أغزر الموارد وأقواها، وهما يغذيان اللغات الأوربية بغذاء لا ينقطع. وإذا تتبعنا التأليف المعجمي فيها، وجدنا أن مادته في زيادة مطردة في الخمسين سنة الأخيرة، وترجع هذه الزيادة في أغلبها إلى لغة العلم والحضارة.

وفي العالم العربي اليوم نشاط علمي متواصل، يحرص على أن يستعيد مجد الماضي، وينافس في

الحاضر، ويسهم باختصار في حركة العلم العالمية. وفيه أيضا نهضة صناعية وفنية ملحوظة، فيه مناجم ومحاجر، وآبار زيت ومصاف، ومصانع ومولدات للطاقة الكهربية والذرية. ويعنيه أن يعبر عن ذلك كله بلسان عربي مبين.

لا نظن أنه قدر للغة العلم قط ذيوع وانتشار مثل ما قدر لها اليوم، وما ذاك إلا ثمرة من ثمار سيادة العلم وسلطانه. ونحن نعيش في عصره ولا شك، ويكاد يفرض نفسه على مظاهر الحياة كلها. فنحس به في الحقل والمنزل، ونخضع له في المصنع والمتجر، ونعيش معه في المدرسة والمعهد. ولا سبيل لنا إلا أن نستخدم ألفاظه ونردد مصطلحاته، إن شئنا أن نفهم ونتفاهم، وننعم بمستحدثات الحضارة والمدنيّة.

تلك ظاهرة لا سبيل إلى إنكارها، وفي كل يوم يغزو العلم ميادين جديدة، ويهدى إلى كشوف ومبتكرات لا عهد لنا بها. وتسير لغته معه أينما سار، فللحياة العامة فيها نصيب، ولها في الفن والادب شأن واضح، وفي الاقتصاد والسياسة مجال ملحوظ، وعليها تقوم الدراسات العلمية والفلسفية على اختلافها. ولا بد لنا من ملاحقتها في سيرها الحثيث، وربطها باللغة العامة.

وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء، وهي ولا شك اصطلاح وقد قيل قديما : «لا مشاحة في الاصطلاح» ومن العيب أن نلتقي عند اللفظ الأجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعه وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة. والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من وسائل البحث والدرس وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد. وأذكر تجربة فرنسية بدأت في فجر هذا القرن، وحاولت أن تجمع كلمة المختصين على المصطلح الفلسفي وقد اضطلع بها جمع من كبار الفلاسفة الفرنسيين وأخرجت معجم «لالند» الذي لا يزال حُجّة حتى الآن. وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن تفيد من هذه التجربة.

وتعد معجمات متخصصة يقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمجامع اللغوية والعلمية، واتحاد المجامع، واتحاد الجامعات. وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الاسلامية الكبرى.

ooo